صة آية

15

وفد نجران وجداله مع النبي
صلى الله عليه وسلم

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

وفد نجران وجدالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال (تعالى) :

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ ﴾

[سورة آل عمران : ١ـ ٤]

بَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَع ، عَرَفَ النَّاسُ طَبِيعَةَ الإِسْلامِ وَحَقِيقَتَهُ ، فَهُوَ دِينٌ لَهُ رُؤْيَتُهُ الْوَاضِحَةُ فِي

كُلِّ أُمُورِ الْحَيَاةِ ، لا يَعْرِفُ الالْتِواءَ أَوِ الْمُخَادَعَةَ .

فَمُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى دَعَا الرَّسُولُ ﷺ النَّاسَ جَمِيعًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ الإِشْرَاكِ بِهِ ، وَخَاضَ الْحُرُوبَ ضِدَّ كُفَّارِ مَكَّةَ وَضِدَّ أَهْلِ الْكِتَابِ : الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ؛ لِكَيْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ .

وَإِذَا كَانَتْ مَعَارِكُهُ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ بِالسَّيْفِ وَالْحُرُوبِ ، فَإِنَّ مَعَارِكَهُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَتْ بِالإِقْنَاعِ وَالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ .

وَهَذِهِ الآيَاتُ إِحْدَى ثِمَارِ هَذِهِ الْمَعَارِكِ الَّتِى خَاضَهَا الرَّسُولُ ﷺ ضِدَّ أَهْلِ الْكِتَابِ .

فَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ نَجْرَانَ (بَلْدَةٌ بِالْيَمَنِ) وَقَرَّرُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فِى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَيُجَادِلُوهُ فِى بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِى تَتَحَدَّثُ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ .

وَاخْتَارَ مَلِكُ نَجْرَانَ سِتِّينَ رَجُلاً ، كَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَشْرَافُهُمْ وَكِبَارُ عُلَمَائِهِمْ ، وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِ هَؤُلاءِ ثَلاثَةً مِنْ كِبَارِ الرُّهْبَانِ وَالْعُلَمَاءِ ، هُمْ : الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ وَأَبُو حَارِثَةَ .

وَكَانَ أَبُو حَارِثَةَ هَذَا هُوَ أُسْقُفُهُمْ وَحَبْرَهُمْ وَإِمَامَهُمْ وَصَاحِبَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ ،

حَتَّى إِنَّ مُلُوكَ الرُّومِ قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ ، وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ لِعِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ ، كَمَا بَنَوْا لَهُ الْقُصُورَ وَمَنَحُوهُ الأَمْوَالَ وَالْهَدَايَا الثَّمِينَةَ .

وَاتَّجَهَ الْوَفْدُ الْمُكَوَّنُ مِنْ سِتِّينَ رَاكِبًا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَذَهَبُوا إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، حَيْثُ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ مَعَ أَصْحَابِهِ .

نَظَرَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَؤُلاءِ الرِّجَالِ فَأَدْهَشَهُمْ مَا يَرَوْنَ ، إِذْ كَانَ هَؤُلاءِ الرِّجَالُ يَرْتَدُونَ زِيًّا جَمِيلاً ، وَيَبْدُو عَلَيْهِمُ الاهْتِمَامُ الزَّائِدُ وَالْعِنَايَةُ الْفَائِقَةُ بِأَشْكَالِهِمْ ،

فَتَعَجَّبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا :

ـ إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا وَفْدًا مِثْلَهُمْ فِي جَمَالِ الشَّكْلِ أَوْ نَظَافَةِ الثِّيَابِ !

وَنَظَرَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَوَجَدُوهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، فَاتَّجَهُوا إِلَى الْمَشْرِقِ جِهَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ بَدَءُوا فِي الصَّلَاةِ .

وَرَأَى الرَّسُولُ ﷺ الدَّهْشَةَ فِي عُيُونِ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :

ـ دَعُوهُمْ .

وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى الْوَفْدُ مِنْ صَلَاتِهِمْ أَقْبَلُوا

عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَدَأَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ بِالْكَلامِ ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ أَسْلِمَا .

فَقَالا فِي غِلْظَةٍ :

ـ قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ .

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ كَذَبْتُمَا ؛ مَنَعَكُمَا مِنَ الإِسْلامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَداً ، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ ، وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ .

وَبَدَأَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ فِي عَرْضِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَتَيَا مِنْ أَجْلِهَا فَقَالا :

ـ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِيسَى وَلَدًا لِلَّه ، فَمَنْ أَبُوهُ ؟

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَلَسْتُمْ تعلَمُونَ أَنَّهُ لا يَكُونُ وَلَدٌ إِلا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ؟

فَقَالُوا جَمِيعًا :

ـ بَلَى .

قَالَ ﷺ :

ـ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟

قَالُوا :

ـ بَلَى .

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟

قَالُوا :

ـ بَلَى .

فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟

قَالُوا :

ـ لا .

قَالَ ﷺ :

ـ فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ ، وَرَبُّنَا لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَلا يُحْدِثُ .

فَقَالُوا جَمِيعاً :

ـ بَلَى .

وَأَحَسَّ الرَّسُولُ ﷺ بِالتَّأَثُّرِ عَلَى وُجُوهِ الْوَفْدِ فَقَالَ لَهُمْ :

ـ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ ؟

فَقَالُوا جَمِيعاً :

ـ بَلَى .

فَقَالَ ﷺ :

ـ فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ ؟

وَلَمْ يَنْطِقِ الْوَفْدُ بِكَلِمَةِ اعْتِرَاضٍ وَاحِدَةٍ فَسَكَتُوا جَمِيعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) عَلَى رَسُولِهِ ﷺ أَوَّلَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى الآيَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّمَانِينَ .

وَمَا إِنْ سَمِعُوا هَذِهِ الآيَاتِ حَتَّى أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَبَقِيَ الْبَعْضُ عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، بِسَبَبِ الاسْتِكْبَارِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالنَّاسِ .

فَفِي الطَّرِيقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَثَرَتْ بَغْلَةٌ لأَخِي أَبِي حَارِثَةَ فَقَالَ فِي ضِيقٍ :

ـ تَعِسَ الأَبْعَدُ ! ـ يَقْصِدُ الرَّسُولَ ﷺ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَارِثَةَ فِي غَضَبٍ :

ـ بَلْ تَعِسْتَ أَنْتَ !

فَقَالَ أَخُوهُ فِي دَهْشَةٍ :

ـ وَلِمَ يَا أَخِي ؟

فَقَالَ أَبُو حَارِثَةَ :

ـ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ .

فَسَأَلَهُ أَخُوهُ :

ـ مَا يَمْنَعُكَ مِن اتِّبَاعِهِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا ؟

فَقَالَ أَبُو حَارِثَةَ :

ـ أَلا تَرَى مَا صَنَعَهُ بِنَا قَوْمُنَا ؟ لَقَدْ شَرَّفُونَا وَأَكْرَمُونَا وَمَنَحُونَا الأَمْوَالَ وَبَنَوْا لَنَا الْقُصُورَ ، فَلَوْ خَالَفْنَاهُمْ فِيمَا يَعْتَقِدُونَ لأَخَذُوا مِنَّا كُلَّ ذَلِكَ .

وَصَدَّقَ أَخُوهُ عَلَى كَلامِهِ وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ فَتْرَةٍ وَشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ .

إِنَّ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ لَهَا فَضْلٌ كَبِيرٌ وَثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يَقْرَؤُهَا ؛ لأَنَّهَا احْتَوَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ، وَرَدَّتْ عَلَى مَزَاعِمِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

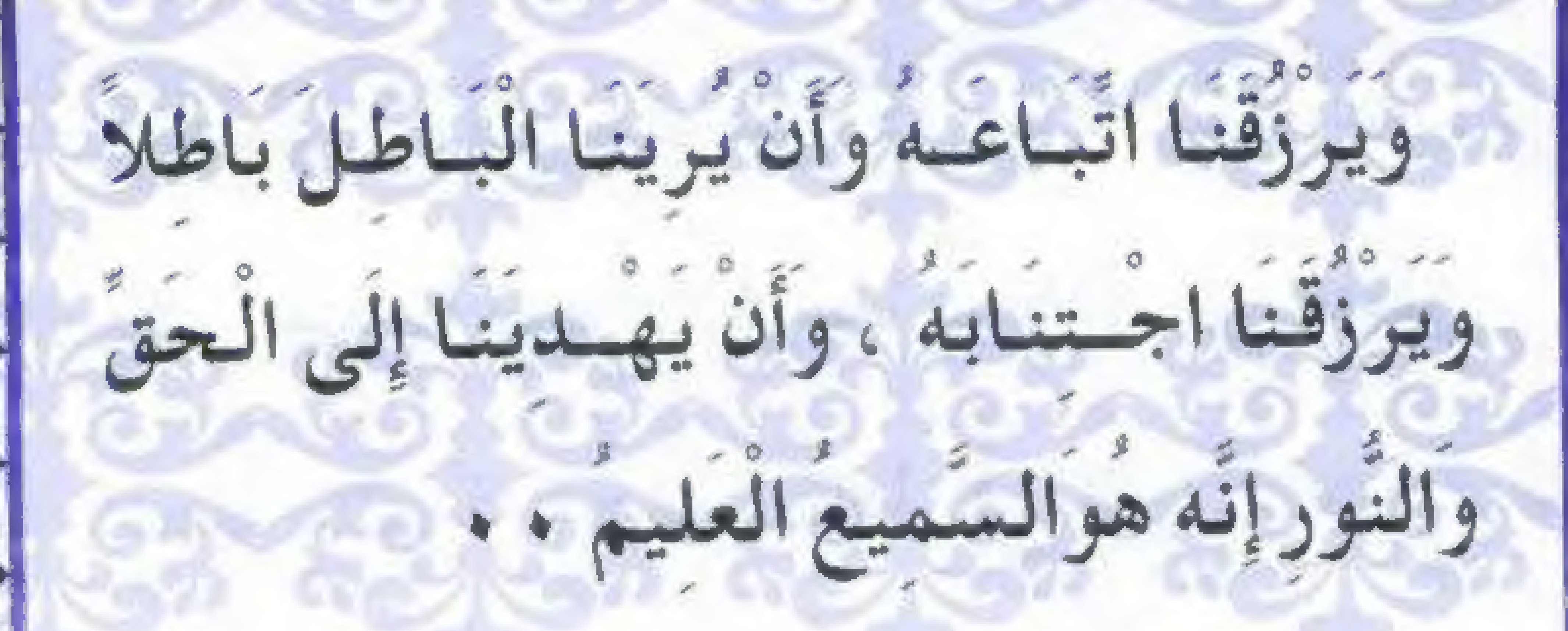
«اقْرَءُوا الْقُرآنَ فَإِنَّه يأتِي يومَ القِيامةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ ، اقرءوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ وسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَو كأَنَّهما فِرقانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ولا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» [رواه مسلم]

إِنَّ الإِسْلامَ وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ بَلْ أَشَدَّ وُضُوحًا ، وَهُوَ دِينٌ بَسِيطٌ لا تَعْقِيدَ فِيهِ يَقُومُ عَلَى التَّوحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ

(تَعَالَى) وتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لا يَلِيقُ بِهِ ، وَهُوَ عِنْدَمَا يُجَادِلُ فَإِنَّمَا يُجَادِلُ مِنْ مَنْطِقِ الْحَقِّ وَالْقُوَّةِ ، كَمَا يُجَادِلُ فِى لِينٍ .

وَالإِسْلامُ هُوَ الدِّينُ الْخَاتَمُ الَّذِى أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلعَالَمِينَ هُدًى وَنُورًا وَرَحْمَةً وَسَكِينَةً لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ اللَّه ؛ وَلِذَلِكَ نَجِدُهُ يُؤْمِنُ بِالْحِوَارِ مَعَ الآخَرِينَ مَهْمَا كَانَ مُخْتَلِفًا مَعَهُمْ لِكَى يَصِلَ بِهِمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ ؛ وَبِذَلِكَ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَدَبَ الْحِوَارِ مَعَ الْقُوَّةِ فِى الْحَقِّ ، وَالإِيمَانَ الصَّادِقَ وَالْعَقِيدَةَ الرَّاسِخَةَ الَّتِى لا تَتَزَعْزَعُ .

نَسْأَلُ اللَّهَ (تَعَالَى) أَنْ يُرِيَنَا الْحَقَّ حَقًّا



وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ وَأَنْ يُرِيَنَا الْبَاطِلَ بَاطِلاً

وَيَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى الْحَقِّ

وَالنُّورِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ..

رقم الإيداع : ٥٩١٩ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : ٠ - ٤٩٢ - ٣٦٦ - ٩٧٧